أنموذج "التفكير السلمي" بين الثقافي والاجتماعي: قيم وتحديات

The "Peaceful Thinking" Model Between Cultural And Social: Values And Challenges

يوسف بنلمهدي *

جامعة عبد المالك السعدي (تطوان – المغرب)

Youssef-benmehdi@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 02 / 02/ 2018 تاريخ القبـول: 13 /03/ 2018

ملخّص

يعالج هذا البحث جزأ من أزمتنا الفكرية والاجتماعية المعاصرة، وهي الأزمة المتعلقة بالخلل في التواصل وضعف أنماط تدبير الاختلاف الثقافي والفكري داخل الهوية الجامعة.

يهدف البحث إلى التوعية بخطورة النقاش المتشنج حول الهوية، وآثاره السلبية على الوطن والمجتمع، في المدى القريب والبعيد، كما يسعى إلى إبراز القيم الكامنة في الأصول الدينية والثقافية التي بني عليها التراث والمجتمع المغاربي .

اقترح البحث أنموذج التفكير السلمي، باعتباره أنموذجا متصالحا مع الذات والهوية بجميع مقوماتها، الدينية والاجتماعية والثقافية واللغوية... واستنتج جملة من القيم الداعمة لهذا الأنموذج.

الكلمات المفتاحية: التفكير السلمي، الحوارية، الهوية ، التنوع، التعددية الثقافية ، القيم ، التشاركية.

Abstract

This research deals with part of our contemporary intellectual and social crisis, which is the crisis related to defective communication and the weakness of patterns of managing cultural and intellectual difference within the collective identity.

The research aims to raise awareness of the seriousness of the convulsive debate about identity, and its negative effects on the homeland and society, in the short and long term. It also seeks to highlight the values inherent in the religious and cultural assets upon which the Maghreb heritage and society are built.

The research suggested the model of peaceful thinking, as it is a model that is reconciled with the self and identity with all its components, religious, social, cultural and linguistic ... and concluded a set of values that support this model.

Keywords: Peaceful thinking, dialogue, identity, diversity, cultural pluralism, values, and participation.

* البريد الإلكتروني للمرسل: Youssef-benmehdi@hotmail.com

مقدمة

أهمية التفكير في حياة الأفراد والأمم

التفكير ضرورة حياتية بالنسبة للإنسان، فهو إنما يوجد وجودا معنويا بمباشرته للتفكير، وبغير ذلك يبقى وجوده مفتقرا لأهم مقومات الكمال الإنساني، وأبرزها الرشد والاستقامة، لهذا قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[الزمر: 9]. فالوجود الإنساني بجميع مراتبه لا يستقل عن التعقل والتفكير، وبدونه يقع المرء في أسر أهوائه ونزعاته النفسية وأطماعه المادية.

وفي السياق الثقافي الإسلامي نجد القرآن الكريم يحض على التعقل والتفكير، ويصله بجميع ضروب النشاط التكليفي للإنسان المسلم، عقديا وتشريعيا وأخلاقيا، كما يتعلق به مصيره الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك: 10].

ولما كان التفكير نشاطا إنسانيا متعدد البواعث والدوافع، بحيث تتحكم فيه مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية والعقلية، كنا في حاجة إلى بنائه بناء متوازنا لتعزيز مناعته بحيث نستطيع تفادى أي خلل يعتري عملية التفكير والقول والفعل التابعَيْن لها، فإذا سمح الإنسان للأغراض النفسية القبيحة والثارات الاجتماعية والمقولات المنحرفة أن تتحكم في فكره إراديا أو لا شعوريا على سبيل الإيحاء والاستهواء، الذي "يجعل الفرد مصدقا لأوهامه أو لما يدعيه الآخرون دون نقد ولا تمحيص"[1]؛ حينها يكون التفكير موجها نحو الهدم لا البناء، قاصدا الإقصاء لا التعارف، مستهدفا أسس العيش المشترك في المجتمعات والأمم بالتقويض والتدمير، ولعل هذه أهم مسؤولية ألقاها القرآن على الإنسان، أقصد مسؤولية الخلافة في الأرض ورعاية أماناتها وفي طليعتها أمانات الاجتماع البشري والتعارف الإنساني.

المبحث الأول: مفهوم التفكير السلمي ومشروعيته

أ: في مفهوم التفكير السلمي:

التفكير السلمي هو نسبة عملية التفكير للسلم والسلام وهي عبارة يحوم معناها اللغوي حول السلامة والصحة والعافية والنجاة والأمان والصلح والمهادنة والسداد والعافية والبراءة[2].

ونقصد به في هذا المقام: التفكير المتصالح مع ذاته أولا، ثم مع معطيات مجاله الثقافية والاجتماعية، من جهة النظر إليها على أنها معطيات مبررة في إطار سنن الله في خلقه، وفي إطار التراكم الحضاري والتنوع التكويني الذي يغني الذات الفردية والجماعية ولا يضعفها أو يهددها وجوديا، وذلك في إطار التكامل الإنساني تكوينيا وأخلاقيا وثقافيا واجتماعيا.

ب- وقفة مع عناصر التعريف:

نقف في هذا التعريف على مجموعة من المصطلحات التي يمكن اعتبارها مفاتيح لتصور ماهية "السلام الفكري" تصورا نظريا قبل بيان مقوماته، وهي:

التصالح: ومعناه الانسجام التام مع الذات والمحيط، والتعاطي الإيجابي مع الواقع الفكري والثقافي والاجتماعي الأصيل والمبرر، مما يترتب عنه قبول التنوع والاختلاف، والتصافي مع الشريك في الدين والوطن والإنسانية، وترك التدخل في خصوصياته، وتمتيعه بما يجب له من حقوق مادية ومعنوية، تحقيقا للحق والواجب الأخلاقي المطلق، دون تفضل أو امتنان.

معطيات المجال: يقصد بها الواقع الثقافي والاجتماعي بجميع مكوناته البشرية والفكرية والثقافية، وكذلك الموروث الحضاري الذي يضم في حالتنا هذه المكون اللغوي والديني والعرقي والفئوي المشكل للفسيفساء المغربية المتفردة والعريقة.

مبررة: نقصد بالتبرير هنا المستوى الإنساني القدري، وكذلك المستوى الحضاري الذي لا يمكن نفي وجوده باعتباره واقعا راسخا، ونقصد بذلك الوجود القبلي السّلِس، دون الوجود "الإحلالي" (الاستعمار) أو الفرض الخارجي بالإكراه أو بالتغرير واستغلال حاجة المعوز إلى تعويض نقص مرضي عارض أو مزمن.

سنن الله: عادته في الاجتماع البشري القائمة على الاختلاف والتنوع، سواء في ذلك التنوع التكويني الجبلي مثل تنوع الأجناس واللغات، وهو المعبر عنه تصريحا في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:22]. أو التنوع الديني المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج:17].

ج: مشروعية التفكير السلمي

السلام أمر أخلاقي تدعمه الفطرة الإنسانية التي فطر عليها الإنسان، من حيث هو كائن مجبول على مكارم الأخلاق ومحامدها؛ قبل أن تستبد بأفكاره وأخلاقه عملية التربية والتنشئة الاجتماعية، بدليل النصوص الشرعية الواردة في ذلك، ومنها قوله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم)[التين:4] وقوله:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: 7-8] وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:30].

ومع هذا الوضوح في نظرة الوحي للإنسان، إلا أن سؤال المشروعية يجد مبرراته في رفض فئة من الناس لهذا المنحى والاعتراض عليه، وإذا عدنا للقرآن الكريم باعتباره دستور المسلمين الفكري والسلوكي، نجد فيه دعوة ربانية صريحة موجهة لعباده بإيثار السلم على العنف في التفكير وتدبير الاختلاف الفكري، لأن السلام الفكري لا يقل أهمية عن مستويات السلام الأخرى، بل إنه عامل رئيس في تحقيق السلام الوجداني والطمأنينة الداخلية.

ومن الشواهد القرآنية لإيثار السلام على غيره، ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، فلما قطع معه أبوه حبل التواصل ونهاه عن محاورته في موضوع فيه خير له، هدده بالعنف اللفظي وقال له: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: 46]، لكن نبي الله إبراهيم وهو الفتى المختار لحمل رسالة التوحيد، لم يرفع في وجهه سبيل العنف ولو من باب الرد بالمثل، وإنما خاطبه بعبارة السلام، بل بصيغة التنكير التي تدل على كمال السلام وعلى المبالغة فيه والتمام،[3] قال تعالى: ﴿قال سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47]، وهذا الأمر ليس قاصرا على الأقارب بل يشمل حتى الأباعد الذين سلكوا سبيل الأذى وأظهروا جانبا من العنف المادي والفكري، وتحدثنا كتب التفسير عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55]. أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب أسلموا، فكان المشركون يؤذونهم، فكانوا يصفحون عنهم، يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[4].

المبحث الثاني: من خصائص السلام الفكري

يدخر هذا النمط من التفكير جملة من القيم الإيجابية التي أوصى بها الإسلام في أصوله المرجعية التي يلتزم بها المسلم عقيدة ومنهاجا للحياة، وعززتها تجربته الحضارية المشهودة في أدبيات البحث والمناظرة والخلافيات، وأقرتها المنظومات الحقوقية المحلية والعالمية التي يعتبر الإسلام فاعلا تاريخيا في نشأتها وتطورها.

وبالمقابل من ذلك يقطع مع نقيضها ويحذر من الوقوع فيه، متوسلا إلى ذلك بوساطة أساليب تربوية تنقل قيم التعايش للأجيال وتبصرهم بإيجابياتها والعكس متخذة من التاريخ مجالا للاستدلال القبلي ومن الواقع إطارا للتطبيق والتصديق.

ومن أبرز الخصائص أو القيم الفكرية والسلوكية التي تحقق معادلة السلم الفكري أو التفكير السلمي وتحقق أغراضه، وأبرزها السلم الاجتماعي، نذكر:

أ-التوافق والانسجام

1-مظاهر وقيم التوافق والانسجام

من طبيعة التفكير التوافقي أنه لا يركز على المختلف فيه، وإنما يضعفه بالتركيز على المتوافق حوله وينزله منزلته بين الفروع، حتى وإن كانت درجة الاختلاف كبيرة أو ظاهرة للعيان بسبب الشكل أو اللباس أو نظام العيش، لأن ميزان التوافقية لا يعتمد على نسبة المشترك بقدر ما يعتمد على إرادة التوافق، إذ يمكنه أن يخلق جوا مسالما من خلال التركيز على نسبة محدودة من المشتركات الاجتماعية أو الفكرية، لأنه قرر مسبقا؛ أن قدرنا أن نتوافق لنحيا ونرقى جميعا، ففي ذلك مصلحتنا الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية الشاملة.

وبالنسبة للمسلم فهو يعتقد جازما أن العنصرية[5] أمر مناقض لصريح الدين، مقابل إظهار اللين لشريك الدين والوطن الذي هو أمر تعبدي لا تعدله في الميزان أي خلافات مهما كانت، خاصة إن كانت من صنف العصبيات الجاهلية المنهي عنها أصلا، كالتعصب للنوع أو اللغة أو العرق أو الدين أو المذهب ... فرباط الانتماء للأمة والوطن هو جوهر ثابت لا يوهنه أي عَرَض متغير، ورباط عقيدة التوحيد القطعية، لا توهنه الفهوم المختلفة والعصبيات المذهبية، والعنصريات العرقية، مهما كان تصورنا لها، ويمكن أن نقرّب معنى هذا المستوى بهذه الأمثلة المتنوعة:

التنوع الفكري: بخصوص التنوع الفكري تروج في أوساطنا أفكار ومناهج هي في أصلها قراءات تأويلية ظنية لظواهر القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي على هذا لا تُعدّ من الدين بل من الفكر الديني الذي يقبل التعددية والاختلاف،

لكنها مع الأسف تثير زوابع وتستثير خصومات لا مبرر لها في المساجد والكليات والكتب والندوات وفي وسائل التواصل الاجتماعي... ويتربص كل فريق بالآخر منازعا إياه في فكره وتدينه، مع أنه بالإمكان تجاوز ذلك كله بالاعتراف المتبادل بالحق في الوجود أولا، ثم الحق في القول ثانيا، وقبل ذلك مشروعية الاختلاف ووجاهته، وقابلية كل الآراء للتعايش في الفضاء المشترك دون أذى ولا إكراه ولا إقصاء.

فمدرسة أبي الحسن الأشعري ومدرسة ابن تيمية على سبيل المثال مدرستان من مدارس أهل السنة والجماعة، ونظريتان في المعرفة العقدية الإسلامية بينهما اتفاق في القواعد الفكرية والمنهجية الكبرى، وبينهما اختلاف على مستوى بعض القضايا والمفاهيم، وبعض المقدمات المنهجية التي لا ترقى إلى درجة قواطع الأصول، ولا تستند لقواطع الأدلة، ولا يضر الاعتقاد بما ينتج عنها أو بعكسه، لأنها في الغالب الأعم قضايا تاريخية مفارقة لواقع المسلم المعاصر وهمومه وتحدياته.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام إنكار الاختلاف الحاصل والقفز عن رهاناته؛ بل ينبغي "الاعتراف بوجوده، وعدم إنكاره أو التهوين منه، كما يجب على العلماء الربانيين ورواد الفكر أن يأخذوا بزمام هذا الخلاف إلى المرتبة العليا وهي مرتبة التفكير، ويرتقوا به عن مستوى العصبيات الجاهلية"[6] مع الحفاظ على الود وإرادة التوافق، صيانة لميثاق أخوة الإسلام، وحفظا للسلم الاجتماعي وميثاق المواطنة المشتركة، ثم البحث عن قواعد لتدبير هذا الاختلاف النظري الموروث، إما بالإبداع أو الإعمال للقواعد المتوفرة في كتب العقيدة والكلام أو حتى كتب الفقه والمناظرة، مثل قاعدة "نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"، وقاعدة "الاختيار لا يتحقق في موضع الاضطرار" و"الحكم يبنى على الظاهر" و"الأمور بمقاصدها" و"لا ينسب إلى ساكت قول" و"الاشتغال بغير المقصود إعراض عن المقصود" و"قطع المنازعة واجب ما أمكن" و"قول المتعنت مردود" و"الحكم على الشيء فرع عن تصوره" [7]... وغيرها من القواعد التي تحفظ البحث والحوار العقدي من الانحراف والزيغ عن هدفه ومقاصده، خاصة وأن أغلب الخلافات لا يترتب عنها أثر عملي ملموس تعم به البلوى كما تقدم، وإنما هي أمور عقلية ووجدانية بين العبد وربه.

التعددية الثقافية: شكل التنوع الثقافي على مدار التاريخ عنصر تنوع وغناء للعالم الإسلامي عامة والمغرب الأقصى تحديدا، وهو تلاحم قوي بسبب جذوره الضاربة في أعماق التاريخ، وطول أمده الذي شهدت به صفحات مجيدة؛ أبرزها تضافر الجهود في معارك التحرير والنهضة والبناء، وفي مجال العلم والأدب والحكمة والسلوك ... لأنه لا أحد من هذه الهويات الجزئية المكونة للذات الحضارية المغربية يناقض الأخرى؛ بل يعززها ويضيف لها ما يكملها ويقويها ويعطيها دافعا للصمود أمام التحديات المختلفة، فالأندلسي حمل معه علوم الأندلس وآدابها وفنونها وعلومها وتمكنها من الحرف والصناعات، وكذلك الصحراوي والأمازيغي والعربي المشرقي والأمازيغي المتعرب والعربي "المتمزغ" والإفريقي... كل أسهم بقيمه وثقافته ورصيده الحضاري إسهاما لا يقدر ولا يقيم ولا يتفاضل، لأنه جوهر الذات لا عرضها ...

والذي صهر هذا الثقافات والأعراق المختلفة حتى صارت لحمة ونسيجا محصنا، هو دين الإسلام من جهة تأكيده على قدرية الاختلاف، وذمه للعصبية والتحيز، وتأكيده على الانفتاح على الإنسانية جمعاء ...

قضية المرأة: المرأة في المجتمع المغربي شقيقة الرجل في السراء والضراء، هكذا كانت قبل الفتح الإسلامي، ثم زادها الإسلام تحررا وانطلاقا ورقيا في سلم المجد العلمي والأدبي والاجتماعي، وهذا ما تشهد به التجربة الإسلامية مع الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والعلويين، ونتذكر في هذا كنزة الأوربية التي حفظت عرش الأدارسة ودولتهم، وفاطمة الفهرية أم البنين مؤسسة أول جامعة في التاريخ هي جامعة القرويين، وزينب النفزاوية شريكة يوسف ابن تاشفين في تأسيس دولة المرابطين، والسيدة الحرة وخناثة بنت بكار ...

لكن قرنا من التقهقر الحضاري العام تسبب في تراجع تلك المكتسبات، ولحق المرأة جراءه قدر من الإساءات المادية والمعنوية، تارة بالتشكيك في مؤهلاتها، وأخرى بالتحيز ضدها والتطاول على مكانتها بجملة من الأحكام المسبقة المعزولة عن أي تعليل شرعي أو عقلي؛ مع ما صحب ذلك من تخلف علمي تعكسه نسبة الأمية والحرمان من التعليم الضروري في صفوف النساء، خاصة في البوادي والأحياء المهمشة، إضافة إلى العنف بشتى أنواعه اللفظي والمادي... الأمر الذي عصف بالأسرة المغربية وعكر صفو التعايش والسلم الاجتماعي وزاد في روافده، فالهدر المدرسي، والجنوح والانحراف في صفوف القاصرين، ومعدلات الجريمة المرتفعة، والهجرة السرية والعلنية، كلها عوامل ترتبط بهذا الجانب، ولا نجاة لنا من هذا المأزق إلا بتكريم المرأة وحمايتها وتمكينها من سبل الحياة الكريمة، ومقدمة هذا كله النظرة الإيجابية للمرأة التي يزرعها التفكير السليم والسلوك المسالم وكل ذلك يمكن تحقيقه عبر الالتزام بدين الإسلام وليس عبر التحرر منه ...

2-تحديات التوافق والانسجام

إن أبرز تحد يواجهه أنموذج التوافقية هو نزعة أو أنموذج التقابل والتنافر، وهو أنموذج لا يقبل بالثنائيات الإيجابية البناءة التي تتحدث عن الاختلاف الجبلي وعن أهمية بل ضرورة التعاون والتكامل لتحقيق السلم الاجتماعي والرقي الإنساني، وإنما يضع معادلة تقابلية صارمة يقسم بموجبها العالم إلى مجموعتين متضادتين "هم ونحن" أو "الذات والغير"، فالرجل ضد المرأة وهي دونه في المنزلة، لا لشيء إضافي قيمي يميزه وإنما إلا لذكورته التي لم يخترها. والشباب ضد الشيوخ ودونهم في العلم والعمل، وما ذاك إلا لسبق الولادة دون اعتبار لإطلاق القيم وتجردها عن السن والجنس والنوع ... والأجير ضد المستأجر وخصمه الوجودي؛ وما ذلك إلا لأنه المستفيد الأكبر من عملية الإنتاج، والبدوي ضد الحضري وسبب أرقه وفساد جمالية مجاله، وما ذلك إلا لأنه لاحِق على المدينة، ومصر على الاحتفاظ بطباعه وثقافته التي تشربها من أسرته ومحيطه الذي نشأ فيه، والأستاذ خصم الطالب لأنه يوقع صك نجاح أو رسوب الطالب في المادة، وكأنه يخلق العلامة من غير شيء لا من تقييم علمي دقيق لمستوى الطالب المعرفي والمهاري ...

وهذا أمر مناف للقواعد الشرعية والعقلية، ومجاف للإنصاف الذي أمر به الإسلام؛ فإذا كان الخير فيّ أو في أسرتي وعائلتي فليس من الضرورة أن يكون الآخرون أشرارا أو أقل منزلة، بل قد يكون فيهم من الخير ما في قومي أو أقل أو

أكثر، –وللأسف– هذا يكثر في المسبقات الاجتماعية بين الإثنيات المختلفة؛ بحيث تسود مجموعة من الأحكام الجائرة عند عرق تجاه عرق آخر، وهي في طبيعتها تتعلق بالثقافة والسلوك الفردي والاجتماعي؛ فبني فلان معروفون بالبخل والجبن، وبني علان بالجهل والبلادة، وآخرون شيمتهم الفساد الأخلاقي، وغيرهم طبع على الكسل والتكبر عن الكسب، وغيرها من أحكام القيمة الجائرة والمسبقات التي تحمل وزر الفرد للجماعة، وتورث المعرة للأجيال دون تعليل ولا تبرير، مع في ذلك من خلاف لما جاء في الكتاب والسنة من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:164]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا[8].

وخطورة هذا الأمر تكمن في كونه سلاحا فتاكا ومعولا لتدمير النسيج الاجتماعي وعرقلة انصهاره في بوثقة واحدة، سواء كانت دينية كالأمة أو جغرافية سياسية كالوطن؛ بحيث إننا إذا تصورنا أن نسبة التوافق بين مكونات المجتمع تصل إلى نحو 90 بالمائة أو أكثر، فإن هذا النوع من التفكير قادر على خلق الحروب والتوترات اعتمادا على نسبة 10 بالمائة أو أقل، ما دمنا لا نعترف بالتنوع العرقي، ونتنكر للتعددية الثقافية والحضارية، ولا نرى إلا نقط الاختلاف الذين نعتبره تضادا ومغايرة مرفوضة.

ب– التعارف والانفتاح:

نمط العيش الذي يقتضيه أنموذج السلام الفكري، يتطلب من مدعيه ومعتنقه أن يعيش منفتحا على شركاء الدين والوطن، مؤمنا بإمكانية العيش المشترك في ظل الاختلاف المبرر؛ دون أن يكون الباعث لذلك إكراه من قبل هيئات خارجية، ولا تهاون منه في حق ثوابته وأصالته، أو تفريط في ذاتيته ومقومات شخصيته وهويته الفكرية والحضارية؛ ويقبل على المختلف بقلب سليم وبمشاعر صادقة، ورغبة حقيقية في التواصل معه باستثمار جميع وسائل التواصل المتاحة، الحقيقة والافتراضية، المباشرة وغير المباشرة، رغبة يؤطرها الامتثال للأمر الإلهي اللازم الذي يتعدى التوجيه الأخلاقي إلى الواجب التشريعي، وهو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

فالأصل واحد كما يعتقد المسلمون وأهل الكتاب وعامة العقلاء، والغاية واضحة وهي التعارف، والتنافع، والتراحم، والتكامل، والبر، والمحبة، ورفض الاثم والعدوان والغدر... "من أجل عمارة الأرض، وتحقيق مصالح الإنسان، وإقامة العدل، وصيانة كرامة الإنسان، وسلامة البيئة، وصيانة السلم ومقومات التعايش الآمن بين المجتمعات"[9].

والآية تعطي الأفضلية للأتقى، والأتقى هو ذلكم الفرد المتورع عن الشر المادي والمعنوي، أو المجتمع الصالح المصلح، أو المؤسسة الرشيدة التي تسعى سعيا إيجابيا، لبناء وترسيخ قيم التعارف من حيث هو سلوك إنساني منفتح على المختلف

إلى أقصى حد؛ ما لم تقيده قيود الاثم والعدوان والمخاطر الوجودية المدمرة للذات، ومن تجليات هذا المستوى التسامح مع أشكال التعبير الفردي والجماعي للمختلف، من منطق الإيمان بالتعددية والتنوع الثقافي.

1- مظاهر التعارف والانفتاح:

* شمول منظومة القيم لكل مكونات المجتمع، وعدم استثناء فئة من فئاته على أساس ثقافي أوديني أو اجتماعي أو سياسي.

* احترام تنوع اللهجات واللغات والثقافات، وغياب القيود والعقد التواصلية في الأماكن العامة والخاصة.

* الانسجام الاجتماعي المتمثل في انفتاح وتحرر شبكة العلاقات الاجتماعية من العصبيات المختلفة، سواء العلاقة الثقافية والعلمية أو التجارية والمهنية، وعلاقة المصاهرة، وسيادة حسن الجوار، والتزاور في الأفراح والمآتم...

* مراعاة المناهج التعليمية لكافة الخصوصيات الثقافية وعدم تحيزها ضد بعضها أو أحدها، مع إدراج المضامين التعليمة التي تستهدف إرساء ثقافة الحوار وسبل تحقيق التفاهم والتعايش والسلم الفكري والاجتماعي في المقررات الدراسية.

* السلام الفكري وبناء جسور فكرية متينة تمكن المجتمع من استيعاب التعددية المذهبية، على مستوى فروع العقيدة والشريعة، أساسها الحوار وقيمه المؤسسة.

* وضوح فكرة العيش المشترك، وأسسها الأخلاقية والتشريعية، والوعي بالتضحيات اللازم اتخاذها لتحقيقه، بما في ذلك المسار السياسي الذي ينبغي سلوكه لتثبيتها دستوريا وقانونيا.

2- تحديات التعارف والانفتاح

ويقابل هذا الأنموذج النمط المنغلق، ونقصد به التفكير الذي يتجاوز قاعدة التعارف الإنساني، وينطلق في التعامل مع الآخر، المخالف والموافق، القريب والبعيد، من كون الذات الفردية أو الجماعية محور الكون، وهي لا تكون كاملة إلا بنقصان ذات الآخر وتراجعه الإنساني عن مستوى الذات والصفات، فالغير دون الذات إنسانيا وقيميا. وهذا التفكير واضح الضعف والتهافت، لكنه موجود في واقعنا بفعل عوامل وأسباب حضارية أبرزها:

- أزمة الهوية : فعندما تتعرض الأمم لرجات "هوياتية"، تنظر في أسباب تقهقرها بعد رقي وانحطاطها بعد تقدم، وقد تكون النظرة علمية مستوعبة للأسباب الموضوعية المادية والمعنوية للمشكلة، لكنها لا تستطيع تجنب التحليلات

الانفعالية العاطفية التي تنظر للذات نظرة غير واقعية، وتحمل الآخر مسؤولية التآمر على الذات واختراقها والسعي إلى إضعافها وغزوها فكريا وثقافيا ... وهذا التحليل لا يمكن نفيه من الناحية العلمية لأنه موثق ومبرر، لكن الاقتصار عليه هو تركيز على المقاربة التعبوية التي تضاعف الشعور بالمرض ولا تتقدم في خطوات العلاج.

– **الحرمان الاجتماعي**: فالفقر والبطالة والتهميش، وقصور التكوين العلمي، وأشكال مجحفة من التمييز والانحباس التي يصادفها الشباب في مسيرتهم وتتكسر أمامها أحلامهم وآمالهم، تكون سببا في جنوحهم الفكري والاجتماعي، وغالبا ما ينقلب هذا الشعور إلى نقمة على المجتمع ويأس من إصلاحه، مع إيثار العزلة والانفصام على التواصل والانسجام ... لكنه انفصام غير تام لأن فيه انفتاحا على منظومة الفكر المنغلق واستهلاكا لمقولاتها دون نقد ولا تمحيص؛ تلك الأفكار التي تقوض السلم الاجتماعي، وتستهين بقوماته، وتدعو للخروج عليها؛ مما يشكل تهديدا حقيقيا لأمنه الفكري والاجتماعي، خاصة أنها تحاصر الشباب في دائرة اليأس ودوامة العدمية فتجعل نظرته لموته وحياته سيان، بل إنها في بعض الحالات قد تعتبِر الموت أفضل! وهنا يفقد الفرد شعوره بالانتماء والتزامه الأخلاقي نحو مجتمعه، فتقع الكارثة.

– **الحرمان الفكري والثقافي**: فغياب التعليم والتأهيل والتدريب على كفايات الوعي بأخلاق التعارف، ومهارات قواعد التحاور والتباحث، يضعف السلام الفكري ويهدد استقرار محاور وسبل التفاهم بين مكونات المجتمع التعددي والموحد، وليس المقصود بالثقافة في هذا المستوى الثقافة العالمة، وإنما مجرد الإحساس الفطري بالآخر والتفهم لحقيقة الاختلاف معه والتسامح معه من منطق المساواة.

ج– التشاركية والتكامل:

التشاركية سمة ثابتة في أنموذج السلام الفكري، يسلكها في كل أموره الحياتية، فلا ينفرد بعمل خير ولا تحقيق مصلحة ولا بناء فكرة ... وإنما يشترك مع أترابه في بناء الفكر والمجتمع والوطن، اهتماما وتخطيطا وتطبيقا، لأن قدر الإنسان وطبعه لا يقبل العزلة، فهو كائن اجتماعي أو مدني بطبعه؛ يميل إلى الألفة والتآلف، والعيش وفق نظام اجتماعي أساسه التوافق على قيم العيش المشترك، وفي طليعتها الألفة واللين ومجافاة الفضاضة والقسوة... كما يحمل هم التربية على تلك القيم امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

وذلك لما في فضيلة التشاركية من تحصين للذات ووحدة الصف وقوة القرار، ولما لها من أثر على المجال الطبيعي والاقتصادي والفكري والسلوكي، فمسألة التنمية، وطموح الإصلاح وتحقيق الرفاهية عبر التغلب على مشكلات البطالة والتطرف العنيف والأمية والبيئة، وغيرها من المشاكل اليومية للإنسان المعاصر، تحتاج إلى حوار مجتمعي شامل، وعمل تشاركي لا إقصاء فيه، ولا يمكن للفرد الواحد مهما أوتي من قوة أن يحقق النجاح في أحدها.

وبالنسبة لهذا الأنموذج فالآخر المؤتلف والمختلف لا يعتبر نقيضا للذات ولا تابعا لها، بل هو مكمل للذات مهما بلغت من درجات الكمال، إذ يعتبر نفسه قويا بأخيه، مطمئنا بشركائه، ولنا في موسى عليه السلام خير مثال؛ فهو النبي المعصوم المؤيد بمدد من السماء، يطلب من الله عز وجل أن يشد عضده بأخيه، ويشركه معه في أمره، ليتم الأمر على خير حال وأكمل وجه. يقول تعالى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: 34-35].

هذا عن موسى عليه السلام وهو أحد أولي العزم المعصومين، فما بالك بالذوات غير الكاملة؛ أقصد الفردية والاجتماعية والحضارية... وهذا ما تسعى المجتمعات الواعية في عصرنا إلى اتقائه عبر فتح المجال لاستقطاب أولي الخبرات والمهارات من شباب العالم الثالث، وتدلل أمامهم العوائق الجغرافية والثقافية والبيروقراطية، لأن وجودهم يكمل النقص الحاصل أو المرتقب، ويدعّم الذات بعوامل التكامل التي هي في الحقيقة ظروف البقاء في الصدارة ودوام التحضر والريادة.

وبالمقابل من ذلك نجد الأنموذج الوثوقي المتمركز حول الذات تمركزا جعل منها خزانا للقيم السلبية التي لا تتوافق وقواعد التواصل الإنساني وقيم العيش المشترك، فهو يتواصل -في حدود معينة طبعا- لكن ليأخذ لا ليعطي، وليخدم مركزيته الذاتية والجماعية والحضارية، لهذا نجده يتصلب في كل موقف ويتخذ موقعا في الطرف الأقصى، سواء كان أقصى اليسار أم أقصى اليمين، رافضا كل توافق أو حل وسط ينزع التوترات ويبني جسور الثقة خدمة للسلم الاجتماعي، متعللا بأن الحق لا يتجزأ، وأن القضايا مبدئية ولا لين في المبادئ!.

فيقبل على شريك الدين والوطن والعرق شاهرا مقولاته العنيفة بشكل فج متصلب، متوجها إليه بنية إحداث الصراع الذي قد يتطور إلى صراع عنيف خدمة لأحقاد دفينة غير مبررة، أو مصالح ظرفية تعود عليه بالشقاء والتعاسة في الأمد القريب أو البعيد... وفي سبيل هذا الأمر يتخذ سلوكات ومواقف جانحة عن السائد في المجتمع وهي في الغالب مواقف غير مبررة ولا معقولة، بل قد تكون غير متوقعة.

وفي مجتمع عريق مثل المجتمع المغربي، حيث يشكل الجميع نسيجا واحدا، وتغيب عنه التباينات الحادة بين غالب مكونات البلد، يكون الخلاف حول الجزئيات الظنيات لا الأصول القطعيات، لهذا لا مبرر للوثوقية وما يترتب عنها من مظاهر في التفكير والسلوك، فالمغاربة مجتمع تعددي منصهر...

د- الحوارية:

1- مقومات ومبادئ الحوارية:

من خلال مراجعة تعريفات الحوار وحضوره في المراجع والمصادر الفكرية واللغوية المؤسسة لثقافتنا العربية الإسلامية، "يتأكد لدينا أن الحوار أصل من الأصول الثابتة للحضارة العربية الإسلامية، ينبع من رسالة الإسلام وهديه ومن طبيعة ثقافته وجوهر حضارته"[10]

كما يعتبر الحوار الأنموذج الأمثل لإدارة التنوع وتدبير قضايا الفكر والوطن؛ تدبيرا سلميا إقناعيا، بعيدا عن الخصومة والتعصب، لأن الممارسة الحوارية تسمح بالنظر المتعدد للمواضيع والإشكلات المشتركة، وهو نظر يورث أكبر قدر من الدقة والتركيز مع الإحاطة والشمول، كما "يعزز الحوار نسيج العلاقات بين أفراد المجتمع، ويشيع روح الطمأنينة بين مختلف الأطياف، ويذكي روح التفاهم والتسامح بين الأفراد والفئات، وبالمقابل من ذلك يقلص مسافات التباعد بين التيارات الفكرية من خلال تقريب وجهات النظر، وفي أقل الأحوال يؤدي إلى فهم واقعي متبادل لفكر وحياة المختلفين، وكل هذا يسهم في تحقيق جانب من السلم والتسالم في المجتمع"[11].

ولما كان الحوار الحقيقي فضيلة، وغاية عظمى، ومدخل أساسي لتحقيق السلم الاجتماعي، كانت الحاجة ماسة لتحقيق شروطه الموضوعية، ليوجد أولا؛ فوجوده يعد نجاحا كبيرا في طريق نزع فتيل العصبيات والمشاكل التي تتخبط فيها مجتمعاتنا وأسرنا ومؤسساتنا... وهي المشاكل التي تعرقل التنمية والرفاهية والازدهار الفكري والعلمي والاقتصادي، لأن وجود الحوار يعني الاعتراف المتبادل، وإرادة التعاون من أجل بلورة ميثاق أخلاقي وعقد اجتماعي متوافق عليه بين الفرقاء المتفقين والمختلفين، وفي غياب الحوار لا تنفع الوحدة الفكرية والمذهبية والجغرافية، فضلا عن حالة الاختلاف والتعددية.

ثم بعد تحقق إرادة الحوار والشروع فيه، لا بد من رعايته كما نرعى الطفل الوليد، وذلك بتحليته بالمبادئ المثلى، حتى يرقى في درجات الحوارية، وصولا إلى أقوى أنواع التواصل التي يمكن تحقيقه بين إخوة الدين والوطن والإنسانية، وأهم هذه المبادئ:

1- **الوعي بالذاتية:** فأنا هو أنا، سواء كانت هذه الأنا فردا أم دينا أم عرقا أم ثقافة أم حضارة ... إذ لا يطلب في الأنموذج الحواري أن يمسخ المرء ذاته في الآخرين أو يجعلها تابعة لهم، فهذا لا يعتبر أنموذج للتعارف الإنساني؛ بل تقليد المغلوب للغالب وذوبان في شخصيته، بينما يطلب في السلوك التواصلي الأمثل احتفاظ الطرفين بشخصيتهما، وهويتهما كاملة.

2- **الوعي بالغيرية:** أنا لست أنت، فالوعي بالغيرية والمغايرة مطلوب، حتى لا يقع في معضلة التعامي عن الفروق الجعلية بينه وبين غيره، لأن في عدم الوعي بالاختلاف تنكر لمستوى إنساني أصيل، بل هو اختيار الله سبحانه

وتعالى وإرادته في خلقه. ومع الاعتراف بالغيرية يأتي الاعتراف بإنسانية الإنسان، وعدم اعتباره كائنا دون الذات أو فوقها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]

3- **الوعي بأسس الفطرة:** لسنا متناقضين، مهما اختلفنا فإن لنا أصول جبلية تجمعنا، سواء كان تصورنا للآخر إيجابيا أم سلبيا، وقدرنا أن نتعاون مع الأخيار في إصلاح الأرض وأن ندافع الشر لأن فيه هلاكنا، مصداقا لحديث السفينة عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»، ولا يتم الوعي بهذه الأصول إلا على قاعدة المساواة في الحقوق والواجبات، وعدم الضن على الغير بما نريده لأنفسنا والعكس.

4- **السلمية:** أو لنكن كابن آدم بتعبير جودة سعيد[12]، إن الموقف من العنف قضية مبدئية لا تتعلق بالقوة أو بالضعف، وإنما بالنظر للاختيار الإرادي الذي لا يرى في العنف سبيلا لإصلاح مشاكل الماضي والحاضر، بما فيها مشاكل الدين والتدين وحتى المصالح المادية، وقد جاءت الأديان السماوية من أجل حل هذه المشاكل وقدمت للناس وصايا وتوجيهات لتحقيق السلم والأمن والعدل، ومن أهم هذه الوصايا أن العنف لا يحل المشاكل بين الناس، وهذا ما تخبرنا به قصة ابني آدم، يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. [المائدة: 27-32]

2- تحديات وعوائق الحوارية:

لكن الخطير في واقعنا المعاصر أن الحوار منعدم أو معيب، فبعض حواراتنا لم تعد ملتزمة بالأساليب السلمية المتمثلة في الإنصاف، والهدوء، والاحترام، وقبول المراجعة، والاستعداد للتراجع عن الخطأ، والقصد إلى الخير والحق... وغيرها من المقومات الفكرية والسلوكية الظاهرة والباطنة، والأدهى من هذا كله أن هذه الحوارات لم تعد تجر في حجرات مغلقة ومنابر خاصة، بل إنها تنقل عبر وسائل الإعلام ويهتم لها ولنتائجها الجميع، ويتفاعل معها الناس سلبا وإيجابا، أمنا وفتنا،

سلما وحربا، ويتأثر بها الشباب الصاعد... ودأب وسائل الإعلام المعاصرة، هو ممارسة التعبئة الإيديولوجية، وتكثيف المغالطات لتكوين الاتجاهات العقدية والسياسية، الأمر الذي يلزم معه تكوين ثقافة إعلامية رصينة، وتوعية الأجيال بالأساليب المموهة التي هي أشبه بالحق وليست منه...

هـ – الاستدلال والنقدية:

التفكير النقدي هو الذي لا يقف عند ظاهر الخطاب وزخرفه وإنما ينفذ إلى عمقه ليدقق في مفاهيمه، ويكتشف أبعاده ومقاصده، ويقف عند حججه وشواهده، ولا يمكن أن نتخلى عن النقدية بدافع السلمية، لأن السلم لا يبنى على السلبية والتقليد والتفاهم الهش، بل على العكس من ذلك، يمكن لهذه الأمور أن تقوض أسس السلم الاجتماعي إذا لم تكن أسسا معقولة أو مشروعة أو اتفاقية.

وفي حالة المجتمع المغربي لا يمكنه أن يطبّع مع الظواهر التي تمس كيانه الثقافي والسياسي والاجتماعي الأصيل، بل يمحصها بمعايير علمية وأخلاقية ترفع الإيجابي البناء، وتضع السلبي الهدام، ولهذا الأمر حثت الشريعة الإسلامية على التفكير النقدي في الظواهر الفكرية المتعلقة بأصول الاعتقاد أو الاجتماعية الأخلاقية المتعلقة بالسلوك، يقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[الأنعام: 75-76]، وفي نفس السياق يرد توجيه القرآن الكريم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن يدعو قومه إلى التفكير المتحرر من التقليد والمغالطة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46].

وتأسيسا على الأصل القرآني قرر علماء التوحيد أن الإنسان مسؤول عن فكره مسؤولية تامة في الدنيا والآخرة، ولا يمكنه بحال من الأحوال أن يتخلى عن مهمة التفكير لغيره، واعتبروا النظر والتفكير أول ما يجب على المكلف العاقل، حفظا لرسالته التكليفية الإلهية وصيانة لمصالحه في العاجل والآجل.

وفي الجانب السلوكي الاجتماعي أوصى الإسلام بإعمال النقدية في الأخبار والتبين من صدقيتها اعتمادا على وسائل التثبت المحسوسة والمعقولة، حتى لا تعكر صفو السلم المجتمعي وتنتشر فيه الأخبار الزائفة وتنتهك أعراض الناس وتسلب حقوقهم المادية والمعنوية بغير حق، وفي هذا وردت آيات وأحاديث كثيرة.

ولا يمكن الحديث عن النقدية في غياب القيم المؤسسة لها وعلى رأسها:

* الحرية باعتبارها مفتاح النظر السليم، والمقدمة القطعية لتدبير التنوع في إطار التفاهم والتسامح، ومن بين المعاني الكبرى للحرية، حرية تداول حصيلة العلم والمعرفة والتكنولوجيا بما هي مشاع إنساني لا يرتبط بثقافة ولا طبقة ولا فئة.

* الإنصاف في حق المختلف، ووحدة معايير الحكم العقلي والأخلاقي، لأنها مما لا يقبل التمايز والتفاضل، فقبول رأي الإنسان يخضع لاعتبارات علمية صارمة لا تأبه لأصوله الثقافية والعرقية...

* التشاركية في الحق، فهذه الأمة أمة معصومة في مجموعها لا في تشرذمها، وبالتالي لا يمكن الجزم بأن الحق مع فئة واحدة في سائر القضايا الخلافية، وقد عقد الغزالي في فيصل التفرقة، فصلا جميلا بيّن فيه أن "الحق يدور في كل مذهب"، قال فيه: "فإن زعم أن حد الكفر: ما يخالف مذهب الأشعري، أو مذهب المعتزلي، أو مذهب الحنبلي أو غيرهم؛ فاعلم أنه غِر بليد. قد قيده التقليد؛ فهو أعمى من العميان، فلا تضيع بإصلاحه الزمان. وناهيك حجة في إفحامه، مقابلة دعواه بدعوى خصومه؛ إذ لا يجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلاً؟ أكان ذلك لأجل السبق في الزمان؟ فقد سبق الأشعريَّ غيرُهُ من المعتزلة، فليكن الحق للسابق عليه. أم لأجل التفاوت في الفضل والعلم؟ فبأي ميزان ومكيال قدّر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده؟ ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه، فهو إلى الكفر والتناقض أقرب"[13].

* حسن الخطاب وتجنب التجريح والقدح في حق أعراض الناس ومحاكمة نواياهم وبواطنهم، وترك أمرها لله عز وجل، مع وصف أفكارهم ومقالاتهم، وصفا محايدا خال من الإلزام والتأويل والتوجيه...

* تجاوز منطق الأكثرية: فالأكثرية العددية لا تعد مصوّغا علميا للبرهنة على صواب القول أو الفعل، إذ لم يثبت في أصول الاستدلال الأخذ برأيي الأغلبية باعتباره دليلا معتبرا، وإنما مؤشر قد يسلّم وقد ينقض ويرفض، وفي هذا مراعاة لحقوق الأقليات من جهة، ومن جهة أخرى تقدير قيمة الحجاج والإقناع العقلي بعيدا عن سطوة الرأي العام.

التهميش:

1- معجم علم النفس والتحليل النفسي، تأليف جماعة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، د-ت. (بتصرف)

2- مقاييس اللغة: مادة، سلم، 90/3. / لسان العرب، مادة سلم، 289/12

3- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - 1420 هـ 164/10. 372/18.

4- أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م. 598/19.

5- العنصرية تعني: "الاعتقاد بأن الإرث الثقافي أو العنصري لجماعة الفرد يتفوق فطريا على الإرث الثقافي أو العنصري للجماعات الأخرى، يصاحب هذا الاعتقاد اتجاهات التعصب ضد أعضاء الجماعات التي صنفت بوصفها «أدنى أو أقل». عبد القادر الشيخلي، ثقافة التسامح ضرورة أخلاقية واجتماعية وسياسية، الرياض 2017، ص103

6- خالد بن محمد البديوي، الحوار وبناء السلم الاجتماعي، منشورات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط5، 1436/2010، ص39.

7- راجع بهذا الخصوص كتاب عشرون قاعدة فقهية تشكل حواراتك، محمد بن عبد العزيز المبارك، رسائل في الحوار، ع18، 2014- 1435هـ

8- متفق عليه.

9- مجاهد بن حامد الرفاعي، الحوار دعوة للتعايش، جدة، 2015.

10- يوسف بن محمد الهويش، تعزيز الأمن الفكري، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط3، الرياض، 2017م/1423

11- الحوار وبناء السلم الاجتماعي، ص 17.

12- ألف جودت سعيد كتاب "كن كابن آدم" في الانتصار للنمط السلمي الحواري الذي يرفض اعتماد القتل أسلوبا لحل المشكلات وتدبير الاحتلاف، واتخذ من قصة ابني آدم وسيلة لبيان فكرته عن العنف والإكراه. نشرت الكتاب دار الفكر المعاصر سنة 1997، ويقع في 360 صفحة.

- أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة، تحقيق محمود بيجو، ط1، 1413هـ/1993م ص 19-13.21

قائمة المصادر والمراجع:

1. معجم علم النفس والتحليل النفسي، تأليف جماعة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، د-ت. (بتصرف)
2. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، 1979م/1399هـ.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت.
4. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - 1420 هـ.
5. أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.
6. عبد القادر الشيخلي، ثقافة التسامح ضرورة أخلاقية واجتماعية وسياسية، الرياض 2017.
7. خالد بن محمد البديوي، الحوار وبناء السلم الاجتماعي، منشورات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط5، 1436/2010هـ.
8. محمد بن عبد العزيز المبارك، عشرون قاعدة فقهية تشكل حواراتك، رسائل في الحوار، ع18، 2014-1435هـ
9. مجاهد بن حامد الرفاعي، الحوار دعوة للتعايش، جدة، 2015.
10. يوسف بن محمد الهويش، تعزيز الأمن الفكري، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط3، الرياض، 1423/2017م
11. جودت سعيد "كن كابن آدم" دار الفكر المعاصر سنة 1997م.
12. أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة، تحقيق محمود بيجو، ط1، 1413هـ/1993م.